كَثْرَةُ الإِنْتَاجِ الرّوَائِي وَالقَصَصِيّ بَيْنَ مَظنَّةِ التَّجْرِيبِ وَتَحَقُّقِ التَّخْرِيبِ

Novel and Story Overproduction between the Renewal Assumption and the Decadence Realization

خالد ضو

جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر1، (الجزائر)

k.dou@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 14 /2022/12	تاريخ القبول: 2022/12/27	تاريخ النشر: 2022/12/30

Abstract:

This research studies the results of the wrong activation of the renewal, which produces to deterioration of the literature. It aims to introduce renewal, and clarify the controls for activating it in literary production, and to invite writers and novelists to achieve a balance between activating renewal and preserving the principles of society and language, and encouraging them to take care of the content, not of the abundance of production. It also aims at clarifying the objections to some novels and collections of stories, and at urging for abandoning the poor novels in writing and reading. Among the most important results of the research is that renewal in the novelist text is one of the manifestations of creativity, represented in creating new methods in the artistic expression styles, in an effort to renew literary thought and strip it of stereotypes, and modernize language and style. It must also discipline the renewal by the origins of the language and the principles of society, in order to achieve positive goals, and impose itself as a successful theory.

Keywords: novels; stories; renewal; novelist criticism; language weakness

مُلخّصُ البَحث

يدرس هذا البحث نتائج التفعيل الخاطئ للتجريب والذي يؤدي إلى تدهور الأدب، ويهدف إلى التعريف بالتجريب وبيان ضوابط تفعيله في الإنتاج الأدبي، ودعوة الكتّاب والروائيين إلى تحقيق الموازنة بين تفعيل التجريب والحفاظ على مبادئ المجتمع واللغة، وتشجيعهم على العناية بالمضمون لا بكثرة الإنتاج، كما يهدف إلى بيان المآخذ على بعض الروايات والمجموعات

القصصية، والحث على ترك الهزيلة منها تأليفًا وقراءةً، ومن أهم نتائج البحث أنّ التجريب في النص الروائي من مظاهر الإبداع، ويتمثل في ابتكار أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، سعيًا إلى تجديد الفكر الأدبي وتجريده من النمطية، وتحديث اللغة والأسلوب، كما أنه لا بدّ أن ينضبط بأصول اللغة ومبادئ المجتمع، ليحقّق غايات إيجابية، ويفرض نفسه نظرية ناجحة.

الكلمات المفتاحية: روايات؛ قصص؛ تجريب؛ نقد روائي؛ ضعف لغوي.

1. مقدمة:

تمثل الرواية رافدًا من روافد الموروث الأدبي، وهي لون نثري له أصوله وقواعده، وقد حققت الرواية في السنوات الأخيرة نسبة مبيعات كبيرة؛ قياسا مع بقية المؤلفات، كما وظّف فيها أصحابها التجريب كآلية من آليات التجديد والخروج من النمطية والتقليد، وتختلف درجة حسن التوظيف حسب بلاغة الروائي ومدى التزامه بالمبادئ وضوابط التأليف.

تطفل بعض المتعالمين وأشباه المثقفين على عالم الرواية، فجردوا أقلامهم وانكبوا يسردون خيالهم ومكبوتاتهم الخالية من كل فائدة، وأحيانا تكون هدامة في حين يظن صاحبها نفسه منقذا للغة ناشرا للفكر مُفعلا للتجريب والتجديد، وهذا ما سيعالجه هذا البحث؛ حيث سيتم بيان ضوابط تفعيل التجريب في الرواية، ونقذ مآخذ الروايات الهزيلة.

لهذا الموضوع أهمية بالغة تتجلى في كونه يتناول جانبًا نقديّا مهمّا يغفل عنه البعض إذ ينقدون الكيف فقط، كما أن نتائج هذا الموضوع تخدم جميع الشرائح؛ المؤلفين، القراء، والباحثين، بالإضافة إلى أنه ينطلق من مبدأ الغيرة على التراث والمبادئ ويصل إلى أهمية تكريسهما.

ينطلق هذا البحث من الإشكال الآتي:

- **هل يعدُّ تغليب الكمّ على الكيف في السرد والرواية تجديدًا أم تجريدًا؟**

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما المقصود بالتجريب وما ضوابط تفعيله؟
- كيف يُمكن للروايات والمجموعات القصصية أن تقدم إضافات علمية نافعة؟
- ما المآخذ التي يُمكن تسجيلها على الإنتاج الروائي الهزيل؟

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالتجريب وبيان ضوابط تفعيله في الإنتاج الأدبي، ودعوة الكتّاب والروائيين إلى الحفاظ على المبادئ الدينية والاجتماعية للثقافة العربية عند توظيف التجريب، وتشجيعهم على العناية بالمضمون والكيف بدل العناية بكثرة الإنتاج، كما يهدف إلى بيان جملة من المآخذ الجلية على بعض الروايات والمجموعات القصصية الهزيلة في لغتها ومبادئها، والتنديد بهذا النوع من الكتابة والحث على تركها تأليفًا وقراءة.

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولتحقيق الأهداف المنشودة؛ قُسّم هذا البحث في عنصرين، تتقدمُهما مُقدّمة، وتليهما خاتمة، وتفصيل عناصره كالآتي:

1. **مقدمة:** فيها أهمية الموضوع، إشكاليته، أهدافه، خطة تقسيمه، ومنهج دراسته.
2. **التجريب** وضوابط تفعيله في التأليف الروائي.
3. **مآخذ** الروايات والكتابة القصصية الحديثة.
4. **الخاتمة:** فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وبعض الاقتراحات.

أُنتُهِجَ في معالجة هذا البحث المنهج الوصفي؛ وذلك في تعريف التجريب ووصف مدلوله، وبيان ضوابطه، وكذا في تصوير المآخذ التي يُمكن تسجيلها في بعض الروايات والمجموعات القصصية، وفي البحث أيضا تفعيل المنهج الاستقرائي؛ وذلك في محاولة ضبط شروط التجريب استنباطًا وتأصيلًا من المبادئ الأساسية للأدب العربي.

2. التجريب وضوابط تفعيله في التأليف الروائي:

يُشكّل التجريب حلقة مهمة في الدرس الروائي المعاصر، ولن نبالغ إذا قلنا أنّ سبب كثرة الروايات اليوم هو المنافسة على تأسيس ما يُسمى بالتجريب، وهو توظيف الجديد من العادات والألفاظ والأفكار في القطع الأدبية والأساليب التعبيرية، ومن المؤكد أن ذلك لن يكون على إطلاقه بل يلتزم بجملة من القيود ليحقق المقاصد.

2-1. مفهوم التجريب:

يعطي لفظ التجريب للوهلة الأولى مدلولا لغويا معروفا لطلاب العلم، مما يفتح عندهم تساؤلا عن مدى ارتباط هذا المدلول بالأدب والرواية، فيتعمق باحثا عن تلك الرابطة.

أ/ التجريب لغةً:

التَّجريب والتَّجربَة مصدرا الفعل[1]، ومنهما يُقال: جرَّبَ يجرِّب، تَجْرِبةً وتَجْريبًا، فهو مُجرِّب، والمفعول مُجرَّب[2]، والتجريب تكرير الاختبار والإكثار منه، ويدل على هذا أن صيغة

التفعيل موضوعة للمبالغة والتكرير والتكثير، وأصله من قولهم: جرّبته: أي داويته من الجرب، فنظرت أيصلح حاله أم لا[3]؛ وهذه أشهر معانيها اللغوية.

ب/ التجريب اصطلاحا:

قدّم أهل اللغة والأدب والنقاد تعاريف مختلفة لمصطلح "التجريب"، نذكر منها:

- التجريب هو أحد مراحل عمليّة تبنِّي الأفكار المستحدثة يحاول فيه الفرد تطبيق الفكرة المستحدثة وتجديد فائدتها والتأكُّد من مناسبتها لظروفه الخاصّة.[4]
- التجريب وسيلة مشروعة ومطلوبة في أي فن من فنون الأدب، وهو الطريق إلى تجنب الجمود وإلى مسايرة المراحل الحضارية المتعاقبة.[5]
- التجريب قرين الإبداع، لأنّه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل.[6]
- التجريب ابتكار وإنتاج أشكال فنية تخالف السائد والمألوف وتسير في اتجاه مضاد لما هو سائد من تيارات مألوفة وأنماط وهياكل ثابتة.[7]

من خلال التعاريف المذكورة نُدرك أن مصطلح "التجريب" هنا بعيد قليلا عن معنى التجريب في المعاجم اللغوية؛ وإنما اصطُلح عليه فقط، والمعنى الأقرب له في الاصطلاح هو "التجديد"، ولو رجعنا لكتاب "النثر الأدبي" لوجدنا مؤلفه عطف اللفظين "التجريب"، "التجريد" على بعضهما في مواضع عديدة[8]؛ وهذا يدل على أنّ مدلول التجريب اصطلاحا هو التجديد، ويقول أحد النقاد في هذا الصدد بأنّ مصطلح التجريب يحتاج إلى تحديد وتمييز؛ لأنه من المصطلحات التي شاع استعمالها بدلالات متعددة، وغالبا ما يُجعل هذا المصطلح قرينا للتجديد.[9]

إذا أردنا الربط بين الأصل اللغوي للفظ "التجريب" والاستعمال الاصطلاحي له في هذا السياق؛ فإننا نستحضر قول الدكتور **صلاح فضل** بعد تعريفه للتجريب حيث قال: "... مما يتطلب الشجاعة والمغامرة واستهداف المجهول دون التحقق من النجاح"[10]، فمن خلال العبارة الأخيرة يتضح أن التجريب أُصطُلِح للدلالة على أن توظيف التجديد يكون على سبيل التجريب، لأن التجديد له فروع كثيرة، فيقتحم الروائي بأسلوبه أي سبيل من سبل التجديد الذي يحاول به الخروج عن المألوف في صورة تجمع بين تقدير الأصل والمبدأ، وإدراج المستجد، وعلى حسب درجة فهمه وإدراكه لما يفعل تكون نتيجة فعله، فالفطن الدقيق سيجعل من الرواية سوقًا

للكلام رائجة، والمتملق السطحي سيفهم معنى التجريب مقلوبا فيقلب معنى الأدب كله، إذا لم ينضبط بما يجب الالتزام به في ذلك.

بناءً على ما ورد في التعريفات وتحليلها، وعطفا عليه يُمكن القول بأنّ التجريب يعدّ مجازفة يزج بها الكاتب في روايته وأفكاره، وتحمل معنى الثورة الفكرية ويسعى من خلالها إلى التجديد.

2-2. ضوابط التجريب في كتابة الرواية:

إنّ أول من ربط لفظ "التجريب" بالرواية هو إميل زولا (1840م – 1902م)؛ في كتابه المعروف "الرواية التجريبية" سنة 1879م.[11]

إن التجريب ومظاهره التي ذكرناها إذا أحسن الكاتب توظيفها ستكون إضافة أدبية حتما، لكن حسن توظيفها مرتبط بجملة من الضوابط إذا خرج عنها ذهبت غاية التجريب، وربما انتكست نتائجه للسلب لا الإيجاب، وسنحاول في هذا العنصر جمع هاته الضوابط في نقاط.

أ/ معرفة غاية التجريب وحسن توظيفها:

إن الغاية من تفعيل التجريب في التأليف كما ورد في بعض تعريفاته المذكورة آنفا هي الخروج من النمطية إلى التجديد، وذلك بابتكار وسائل جديدة في إيصال الأفكار وتبيان الحقائق.

ذهب عبد الواسع الحميري في كتابه "اتجاهات الخطاب النقدي وأزمة التجريب" إلى أن التجريب بمستوياته السطحي والعميق لا يكون إلا وفق منظور ديناميكي خاص بالمجرب، أي وفق جهاز أدواتي مفهوماتي بناه المجرب بنفسه خلال مسيرته النقدية التجريبية السابقة، والتي تشكل منظورًا خاصا به[12]، والناقد هنا اشترط أن يكون توظيف التجريب عن معرفة بالغاية والأدوات، وتكون هاته المعرفة شخصية مستقرة في نفس المُجرّب، فلا يكون توظيف التجريب تقليدًا.

اختلط على أصحاب الروايات الهزيلة مقصود التجديد، فظنوا أنه الخيال أو الشذوذ الفكري أو التعبيري، أو خلع رداء الحياء، فنرى الكثير من هؤلاء يخرج عن المألوف ظنا منه أنه يكسر الطابوهات[13] ويحقق من التجريب والتجديد الغايات، فيفحش في الكلام، ويسوق مكبوتاته للقراء في عالم خيالي لا يمكن أن يتحقق، وهو يعلم ذلك جيدا، كما أنه لا يقدم

للقارئ ولا للمجتمع ولا للمكتبة العلمية أي فائدة، بل هي النكسة الأدبية والتدهور الفكري والأخلاقي فحسب.

تفكيكا لهذا الخلط وردّا على مقترفيه نقول لهؤلاء الروائيين إن التجريب غايته الخروج من النمطية لا الخروج من المعقول، وغايته الانسلاخ من الجمود لا من المبادئ والدين والعقل، فلكل شيء ميزان، وكما تقول القاعدة المعروفة دينا وعرفا ومنطقا: الشيء إذا جاوزَ حدّه انقلب إلى ضده[14]، فرفقا باللغة والأدب ورفقا بالقراء الذين يقرؤون للاستمتاع بالأسلوب التعبيري والرواية الهادفة، لا بالخيال الصارخ والقصص الجنسية الفاحشة.

ب/ خدمة قضايا المجتمع ومقوماته:

لكل عصر تياره الأدبي العام السائد، وتواكبه تيارات فرعية نابعة منه أو مستقلة عنه، ومن حق أبناء كل عصر أن يجدوا أنفسهم في أدب عصرهم وإلا انتفت عنه الحداثة[15]، وتتمثل الحداثة في التيارات المواكبة لنوازل العصر الفكرية والثقافية والتطورات التكنولوجية واللغوية، وهذه هي الغاية الكبرى للتجريب.

قال الدكتور **حسين علي حسين** صاحب كتاب "التحرير الأدبي" ناقدًا شعراء الحداثة بأنّ في الوطن العربي نهضة قصصية مرموقة ذات ثمار مختلفة طيبة لا تنقصها الحداثة، وقال أيضا بأنّ إيثار الناس للقصة والرواية على الشعر لا يعني بأن الفن القصصي فن محافظ لا يواجه القراء بما يواجهونه في الشعر من تجديد، بل لأنّ أصحابها لا يتجاهلون قضايا العصر ومشكلاته ونماذجه البشرية، وهم على اختلاف حظوظهم من الحداثة أقرب إلى نفوس القراء من شعراء التجريب والتجريد[16]، على حدّ قوله طبعا.

يتبين من خلال كلام الأستاذ أن الرواية كانت تؤتي أكلها وتزرع القيم في المجتمع؛ وذلك لما كانت تضع خدمة المجتمع في مقدمة الأولويات، وقد توفي الأستاذ حسين سنة 1431هـ؛ أي قبل 13 سنة من الآن، وطُبع كتابه هذا طبعته الخامسة سنة 1425هـ/ 2004م[17] وفي هذه الفترة حدثت انتكاسة فكرية للرواية العربية ولو قُدّر للرجل العيش إلى اليوم لقال في نقد المتطفلين على الرواية أشد مما قال في نقد شعراء الحداثة، حيث صارت الغاية الأولى والأخيرة للكثير من الروائيين اليوم هي كسب المال أو الشهرة، ويخالف لأجل ذلك الأعراف والقيم والمبادئ، ويأتي بالشاذ من الأفكار، والعميق من المشاعر الرومنسية والجنسية.

ج/ الصدق في توظيف الحقائق والأفكار:

من المعلوم عند أهل الملل جميعا أن الكذب والتدليس وتزوير الحقائق ترفضه الفطرة البشرية السوية، ويجب تجنب ذلك في كل تفاصيل الحياة؛ قولًا وعملًا ونقلًا وإخبارًا.

تعد الأمانة العلمية والتاريخية من أهم متطلبات التأليف، وهي صفة مطلوبة من الباحث؛ بحيث يلتزم بنقل الحقائق كما وقعت دون تحريف أو تصرف، وإن كان له نقد أو إضافة يجعله تعقيبا، وعليه فإنه لا بدّ للمؤلف أن يتحرى المصداقية في الأخذ والنقل، فلا يحق لكاتب مثلا بدعوى توظيف التجريب أن ينسب عادة أو عرفا لمنطقة لا تعتاد ذلك الشيء، ولو كانت العادة حسنة؛ لأن ذلك مسخ للأعراف وتزوير للتقاليد.

إذا كان التجريب إثارة لأفكار جديدة وتوظيف للتطورات الاجتماعية في الأدب، فإن ذلك حتما مقيد بالصدق في السرد والمصداقية في النقل، فلا يمكن للروائي أن يتخذ غاية التجريب وسيلة للتخلي عن التعبير الصادق.

د/ الموازنة بين تفعيل التجريب والحفاظ على الموروث الديني والثقافي:

تقف استقامة الحياة بكل شؤونها على مبدأ التعادل والتوازن فإن غلبت كفة أخرى مال الأمر وإذا اشتد ميلانه وقع، لذا يجب على المؤلف والروائي أن يحسن الجمع بين طرفي الأمر ليحافظ على اتزان كلامه، فلا يكون نمطيا اجترارا للقديم، ولا يكون شططا يؤسس للتهديم؛ تهديم المبادئ والأسس الدينية والثقافية للعرب والعربية.

إن هذه الدعوة التي قد يرى البعض رجعيتها هي أساس كل تأليف، فلو سألنا من يرونها كذلك؛ (أي من يرونها رجعية) لماذا يكتب المؤلف الروايات؟ سيقولون لحفظ اللغة وأساليبها، وتعليم النشء ونشر الأفكار الحسنة؛ عن الروايات الهادفة طبعا؛ وجوابهم هو الوجه الآخر للفكرة التي يقولون بأنها رجعية، ثم إن حفظ المبادئ والقيم لم يكن يوما من الرجعية، بل الرجعية في التخلي عليها والرجوع إلى الجاهلية الفكرية والدينية والثقافية.

إنّ الفن التجريبي يخترق مساره ضد التيارات السائدة بصعوبة شديدة[18]، مما يستوجب حسن التدبير، والروائي هنا كالبناء الذي يبني سقفا ليرتقي عليه القراء بأفكارهم ومبادئهم، فإنه إن أحسن تقويمه وكان مُتّزنا سيستقيم ويحملهم، وإن لم يزنه كما يجب فسرعان ما يقع بمُرتقيه، فلا هم بالأفكار ولا بالمبادئ ولا بالسقف الذي ظنوه كذلك.

عطفا على ما ذكر نقول بأن التجريب مهما يحمل من تجديد للفكر الأدبي وتجريد من النمطية، وتحديث للغة والأسلوب، وتوظيف للخيال التعبيري الخادم للواقع بأسلوب تعريضي بليغ، فإنه لا بد أن ينضبط في المقابل بأصول اللغة ومبادئ المجتمع وحدود التصديق البشري، بهذا فقط ينجح مبدأ التجريب ويحقق غايات إيجابية ويفرض نفسه نظرية ناجحة.

3. مآخذ[19] الروايات والكتابة القصصية الحديثة:

الروايات كغيرها من فنون الأدب لا تسلم من النقد، ونقصد النقد العلمي البناء الذي يهدف الناقد من خلاله إلى تحسين مستوى الرواية، وفي هذا العنصر بيان لبعض النقود والمآخذ عن الكتابة الروائية والقصصية الحديثة.

وتجدر الإشارة إلى أن النقود التي سيتم تحليلها وتفصيلها لا تمس كل الروايات، فالتعميم تعتيم حتما، فهناك من الروايات الرائدة أدبا ولغة ومدلولا، كما أنه هناك بعض الروايات تقع في بعض المآخذ دون بعض، لكننا سنعدّدها باعتبار الكتابة الروائية الهزيلة، لنحقق المقصود بهذه الدراسة، حيث يظن المؤلف في الروايات الضعيفة أنه يُفعّل التجريب في كتاباته، وهو لا يعلم أنه يُساهم في تخريب والمستوى الأدبي أو ربما يعلم ويتمادى لعدة أسباب؛ يأتي بيانها ضمنيا عند الكلام عن المآخذ.

3-1. تغليب الكمّ على الكيف:

تمتلئ رفوف بعض الكتاب بالروايات والقصص الخاصة بهم، التي تصل أحيانا إلى روايتين في العام أو ثلاث، وحين نتصفح هاته الروايات نجد أن أصحابها لا يهتمون كثيرا بطريقة الإخراج وحسن الحبك، وكأنهم إنما يريدون تكثير نتاجهم الفكري وحسب، وهذه سلبية من حيث ظنوا إيجابيتها.

يعود هذا الأمر على الإنتاج الفكري والكتابة الأدبية بالهزال وسوء المنقلب، وتكرير الكلام واجترار الأفكار أحيانا، مما يؤدي إلى قتل شغف التطلع للجديد، ومحو غايات الإبداع والتجديد.

ويجب في هذا الموضع أن نستثني؛ حتى لا يؤخذ المأخذ على إطلاقه، فهناك بعض المؤلفين رزقهم الله قريحة لا تنضب؛ فيدرّون من فيض خواطرهم باستمرار، وعندما تقرأ لهم لا تجد أن الكم يطغى على الكيف، بل العكس؛ يعزز الكم الكيف لدرجة أنك تنتظر عمله الموالي لتستزيد من درر الأسلوب والنغم الفكري الطروب.

3-2. دسّ الأفكار الضاربة للمرجعية والمبادئ:

يشهد الإعلام والنشر الفكري اليوم تلبيسًا[20] منقطع النظير؛ ولم يسلم التأليف من ذلك أيضا، إذ امتزجت الثقافات بطريقة أقرب إلى العشوائية، واختلط الناس بعضهم ببعض اختلاطا غريبا خرج فيه البعض عن ثقافاتهم، ويظهر لنا في كل يوم مؤلف ينشر أفكارًا جديدة بدعوى التجديد وتفعيل التجريب، أو يُؤسس مغالطات تُعلن الانسلاخ من الدين أو الأخلاق أو مبادئ المجتمع.

يشهد العالم الإسلامي اليوم خطوة متقدمة في التهجم على المقومات الشخصية لهوية الأمة ودينها ولغتها وتاريخها، تحت شعار تكسير الطابوهات، وقد تكون هذه صورة أخرى من البرنامج المعد للتمكين للعلمانية.[21]

نجد في كثير من الكتابات شذوذًا غريبا، يبث سموما فكرية أحيانا تكون متعمدة لضرب مرجعية مجتمع ما، وهذا ما قد يتفطن إليه المتمرسين من القراء أو المتعلمين منهم، أما القراء العوام فسيُلبَّس عليهم بهاته الأفكار ومنهم من ينجر خلفها، خاصة إذا كان المؤلف خبيثا في تصنع الكلام والمراوغة.

لا يتوقف هذا الإشكال عند القراء، بل يتعداهم إلى بعض متصدري الكتابة والتأليف فيقعون في التقليد الأعمى لهاته الأفكار ظنا منهم بأنهم يحققون التجريب في عالم الرواية، وهم ضعاف الفهم والإدراك، قليلو الدراية.

3-3. ضعف اللغة العلمية:

يظن بعض المتطفلين على كتابة الرواية أن الأهمية في الفكرة دون اللغة، وهذه بداية التدهور؛ فاللغة أداة التعبير، ومن ضعفت أداته هزل إنتاجه قياسا على الميادين الأخرى، وقد قال الدكتور **حسين علي حسين**: "ولا شك أن بعض هؤلاء المجربين من ذوي المواهب والثقافة يدركون حقيقة ما يصنعون، لكن كثيرًا منهم أيضًا شعراء غير موهوبين يسيرون في ركاب ذلك الاتجاه على غير هدى ويغطون عجز الموهبة وقلة الثقافة بما يبدو أنه تجريب وتجديد، وهو في الحقيقة عبث لغوي وأسلوبي يباعد بين الشعراء والمتلقين"[22]، وهذا ينطبق على الرواية أيضا.

قد يقول قائل إن هذا الضعف يعطي انطباعا سيئا على الرواية نفسها مما يسبب إعراض القراء عنها وحدها، فلا يكون الضعف مأخذا على الكتابة الروائية عموما؛ نرد عن هذا القول بأن كثرة الإنتاج الروائي خلطت الغث بالسمين، والقارئ إذا كان متمرسا أو ناقدا أو باحثا سيميز بين اللغة القوية والضعيفة، لكن عموم القراء يختلط عليهم الأمر، وربما ظنوا اللغة سليمة والأساليب جيدة، وهي مليئة بالأخطاء التركيبية والنحوية، وهذا يسهم في ضعف لغة الرواية، مما يرجع بالوصم السيء على اللغة العربية عموما.

4-3. طغيان النافلة على الواجب:

النفل والنافلة هو ما كان زيادة على الأصل، لذا سميت صلاة التطوع نافلة؛ لأنها زيادة أجر على ما كتب من ثواب ما فرض، وقال الله جل وعز في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَوَهَبْنَا**

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء:72]؛ والنافلة هنا ولد الولد، لأن الأصل كان الولد، فصار ولد الولد زيادة على الأصل[23]، وكذلك جاء في بعض تأويلاتها في التفسير أنها الزيادة.[24]

بناءً على ما أوردنا في تعريف النافلة بالزيادة في أحد الوجوه اللغوية، نقول بأنّ الرواية وإن كانت فنا أدبيا كما ذكرنا إلا أنها لا تتصدر قائمة الفنون الأدبية، ومهما بلغت من درجة تظل فضلة في التأليف؛ والاستغناء عنها لا يُفقر المكتبة العلمية.

إن الإقبال الذي نراه على الرواية تأليفًا وقراءة وبحثًا له وجهان؛ وجه حسن يتمثل في ترقية فن من فنون الأدب، ووجه سيء يتمثل في هجر ما هو أهمّ والعناية بما دونه، وفي العناصر الآتية زيادة تفصيل في صور الإقبال وتقييمه.

أ/ بالنسبة للمؤلف:

نجد الكثير من الذين ينتسبون إلى عالم الرواية يعجزون عن كتابة كتاب بيداغوجي، أو أنهم جعلوا وقتهم لكتابة الروايات والقصص، وقد يكون من بينهم أساتذة في مصاف التعليم العالي ولا يملكون كتابا بيداغوجيا واحدا، وهذه مثلبة تطعن في الإنتاج الفكري للأستاذ؛ حيث أن الكتاب أكثر أولوية من الرواية قطعا.

قد يقول البعض إن الرواية التي تحافظ على الأسس والمبادئ لا تقل شأنا عن الكتاب البيداغوجي، خاصة وأنها تخلد تراث الأمة وتحفظه وتنشر الثقافات وغيرها، نحترم هذا الرأي جدا، لكن الكتاب المُمَنهج يبقى في أولويات التأليف العلمي بلا منازع، وهذا ما يثبته تاريخنا العربي والإسلامي.

ب/ بالنسبة للقارئ:

التفت كثير من القراء ومحبي المطالعة إلى قراءة الروايات غثها وسمينها حتى أهمل أكثر هؤلاء قراءة الكتب الدينية، الفكرية، التاريخية، اللغوية وغيرها، فتراجعت ثقافة القراء كثيرا، حيث أن المطالعين للكتب قبل عقد أو عقدين من الزمن فقط كانوا يتناولون الكتب الرصينة ويسافرون لأجل شرائها فصنعوا جيلا واعيا مدركا للكثير من القضايا العلمية، أما جيل الروايات اليوم فبالكاد يعرف المعلوم بالضرورة في الدين والتاريخ واللغة.

إذا سألنا بعض المهووسين بقراءة الروايات والقصص عن مسألة بسيطة في اللغة أو الأدب قد لا تجد عنده جوابا، لأن الروايات لم تحشُ رأسه إلا بالأفكار الخيالية والقصص الرومنسية، ولا يستطرب أسلوبا ولا يستعذب تركيبا.

ج/ بالنسبة للباحث:

اتجه جمع من الباحثين إلى الإشادة بالنص الروائي والقصصي، بين معرف وممجد، ومؤصل للأخبار ومستخرج للأفكار، وهو بين هذا وذاك يشيد بعمل الروائي ويثني عليه ويمدح أسلوبه ولغته، وقد تكون هاته الرواية تفتقر لأهم عموميات المنهجية.

لو أردنا أن نحصي الأبحاث الذي تتناول موضوع التجريب في الرواية والقصة لما أحصيناها، فضلا عن المواضيع الأخرى، وقد صار هذا قبلة حتى لأصحاب المذكرات والرسائل والأطروحات العلمية، وأغلبهم لا يذهب إليه عن رغبة شخصية، بل يذهب إليه لأنه موضوع رائج يُمكّنه من نيل عدد من القراءات والاستشهادات يظهر بها اسمه.

على قارئ هذا البحث أن يتذكر دائما ما نبهنا إليه في الأهداف؛ حيث قلنا بأنه قراءة نقدية بناءة نحاول من خلالها تشخيص الأدواء وإعطاء الدواء، انطلاقا من واقع يزداد سوءًا يوما بعد يوم، فقد انتقل الدخلاء والطفيليين من الأمور العامية إلى الطوابير العلمية، فصاروا يزاحمون الأدباء والفقهاء بغير حق ولا وازع، فكان لا بدّ من طرح هذا الموضوع الواسع جدا، الذي لا تكفي سطور هذا البحث للإجابة عن إشكالياته واستثناءاتها، وتبقى توصياته محل إضافة وتوسع إن شاء الله، كما أننا لا نقصد من البحث التهجم ولا التهكم بالرواية إطلاقا، فهناك من الروائيين من لا يُمل كلامه، ولا ينضب فيض قلمه من روعة التحرير، ودقة التعبير.

4. الخاتمة:

في ختام هذا البحث نعرض جملة من النتائج، مع ذكر بعض الاقتراحات، وذلك في النقاط الآتية:

4-1. النتائج:

1- يُشكّل التجريب حلقة مهمة في الدرس الروائي المعاصر، وهو توظيف الجديد من العادات والألفاظ والأفكار في القطع الأدبية والأساليب التعبيرية، بما يحقق التجديد ولا يخالف القيم والأسس، ومن المؤكد أن ذلك لن يكون على إطلاقه بل يلتزم بجملة من القيود ليحقق المقاصد ويكون تجديدًا لا تجريدًا.

2- أُصطلح التجريب للدلالة على أن توظيف التجديد يكون على سبيل التجريب، لأن التجديد له فروع كثيرة، فيقتحم الروائي بأسلوبه أي سبيل من سبل التجديد الذي يحاول به الخروج عن المألوف بما يضمن حفظ الأصل، وعلى حسب درجة فهمه وإدراكه لما يفعل تكون نتيجة فعله.

3- إن حسن توظيف التجريب مرتبط بجملة من الضوابط إذا خرج عنها ذهبت غايته، وربما انتكست نتائجه للسلب لا الإيجاب، وتتمثل هاته الضوابط في معرفة غاية التجريب وحسن توظيفها، الصدق في توظيف الحقائق والأفكار، والموازنة بين تفعيل التجريب والحفاظ على الموروث الديني والثقافي.

4- مهما حمل التجريب من تجديد للفكر الأدبي وتجريد من النمطية، وتحديث للغة والأسلوب، وتوظيف للخيال التعبيري الخادم للواقع بأسلوب تعريضي بليغ، فإنه لا بدّ أن ينضبط بأصول اللغة ومبادئ المجتمع وحدود التصديق البشري، ليحقّق غايات إيجابية ويفرض نفسه نظرية ناجحة.

5- لا تسلم الروايات كغيرها من فنون الأدب من النقد، ومن النقود والمآخذ المسجلة عن متصدري الكتابة الروائية والقصصية الحديثة نجد: تغليب الكمّ على الكيف، دسّ الأفكار الضاربة للمرجعية والمبادئ، ضعف اللغة العلمية في التأليف، وطغيان النافلة على الواجب بالنسبة للمؤلف والقارئ والباحث.

6- يُعدُّ ما تمّ ذكره من مآخذ وسلبيات في الروايات الحديثة حكمًا خاصا بالكتابة الضعيفة التي تفتقر إلى أساسيات التأليف وغايات التجريب، ولا يُمكن تعميمه إطلاقا، إذ يوجد في عالم الرواية من يؤسس للتجديد ويحافظ على الأصل التليد.

2-4. الاقتراحات:

1- إقامة المؤتمرات العلمية للمتخصصين في الرواية والمهتمين بها تأليفا وقراءة وبحثا؛ لصقل توجهاتهم وضبط مدلول ومقاصده التجريب عندهم.

2- تشديد المراقبة على الكتابات الإبداعية ومتابعتها من طرف الهيئات الخاصة بالإنتاج الفكري، وتشجيع المُصيب وتقريع المُسيء.

3- تفعيل الإشادة الإعلامية بالأعمال الروائية المتميزة، والتنديد بالتي تهدم المبادئ وتنزل المستوى الفكري والأدبي منها.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم:** برواية حفص عن عاصم.

1- أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، (1429هـ/ 2008م).

2- الأزهري؛ أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (2001م).
3- حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الخامسة، (1425هـ/ 2004م).
4- ابن الشجري؛ ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، (1413هـ/ 1991م).
5- الشريف الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1403هـ/ 1983م).
6- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (1423هـ/ 2002م).
7- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، الطبعة الأولى، (2005م).
8- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
9- عبد الله جاب الله في حوار مع البيان، حوار بعنوان: ممارسات التيار التغريبي في الجزائر أتت بنتائج عكسية، مجلة البيان، العدد 56.
10- عبد الواسع الحميري، اتجاهات الخطاب النقدي وأزمة التجريب، دمشق: دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (2008م).
11- العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، (1412هـ).
12- الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو البصري، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).
13- الماوردي؛ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
14- محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، مجلة دبي الثقافية، الصدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (2011م).
15- محمود الضبع، غواية التجريب، حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، (2015م).

16- الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، تقديم وتقريظ: عبد الحي الفرماوي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1415هـ/ 1994م).

6. الهوامش والإحالات:

[1]- الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت)، ج6، ص113.

[2]- أحمد مختار عمر، مع فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ط1، (2008م)، ج1، ص357. مادة (ج ر ب)

[3]- أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط1، (1412هـ)، ص117. ويُنظر أيضا: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، (1991م)، ج1، ص119.

[4]- أحمد مختار عمر، مع فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص357.

[5]- حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط5، (2004م)، ص189.

[6]- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، (2005م)، ص03.

[7]- محمود الضبع، غواية التجريب، حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، (2015م)، ص191.

[8]- يُنظر: حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ص186، 189، 191، 192، 196.

[9]- محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، مجلة دبي الثقافية، الصدى للنشر والتوزيع، ط1، (2011م)، ص48.

[10]- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، ص03.

[11]- محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، ص48.

[12]- عبد الواسع الحميري، اتجاهات الخطاب النقدي وأزمة التجريب، دمشق: دار الزمان للنشر والتوزيع، ط1، (2008م)، ص100.

[13]- **الطابوهات**: وردت في معجم اللغة العربية المعاصرة "**التابوات**": جمع "تابو"، وهو ما لا يحل انتهاكه، ويحرَّم مسُّه. أحمد مختار عمر، مع فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص280. ولو رجعنا لأصلها نجدها مُعرّبة من كلمة (taboo) وتعني في القاموس شيء محرّم أو محظور أو ممنوع، لذلك هناك من عربها "طابوه" وجمعه "طابوهات".

[14]- صالح بن فوزان الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، (2002م)، ج1، ص276. ويُنظر أيضا: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص413.

[15]- يُنظر: حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ص189.

[16]- المرجع نفسه، ص194.

[17]- هي الطبعة التي بين أيدينا واستشهدنا منها على قوله المذكور، وقد عاش بعدها 6 سنوات ربما يكون استدرك عليها أو صحح أو أضاف.

[18]- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، ص03.

[19]- **المأخذ**: هو ما يُعاب على العمل أو العامل؛ يُقال: كان للنَّاقد مآخذ كثيرة على الرواية ومؤلّفها، ويُقال: لا مَأْخَذ عليه؛ أي: ليس به عيب أو نقص. يُنظر: أحمد مختار عمر، مع فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص70. مادة (أ خ ذ)

[20]- **التلبيس:** ستر الحقيقة وإظهارها بخلاف ما هي عليه. يُنظر: الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1983م)، ص66.

[21]- عبد الله جاب الله في حوار مع البيان، حوار بعنوان: ممارسات التيار التغريبي في الجزائر أتت بنتائج عكسية، مجلة البيان، العدد 56، ص183.

[22]- حسين علي محمد حسين، التحرير الأدبي، ص191.

[23]- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، (2001م)، ج15، ص256.

[24]- الماوردي، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص455. ويُنظر أيضا: أبو الحسن الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وآخرين، تقديم وتقريظ: عبد الحي الفرماوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1994م)، ج3، ص245.